كلمة التوحيد

معناها شروطها أركانها نواقضها

تقديم ومراجعة

الشّيْخ/ عَدْنَان بِن خَضْر مَيَّطْ

فلسطين-غزة ١٤٣٦هـ

الحمد اللَّه الذي جعل التوحيد قطب الرحى, والصلاة والسلام على من بدعوته الشرك انمحى, ورضي اللَّه عن الصحابة الذين نصروا دين اللَّه في الورى, وعلى من خلفهم بخير حتى مفارقة الروح للجسد وورد المنتهى

أما بعد

فلا يخفى على مسلم أنار اللَّه قلبه بنور التوحيد الذي يبدد ظلمات الشرك, وبنور الاتباع الذي يبدد ظلمات الابتداع, أن أهم المهمات التي يجب أن يحرص المسلم على تحصيلها هي كلمة التوحيد اعتقاداً وعلماً وعملاً إذ بها النجاة, وبمخالفتها الوقوع في الردى, فكان أعظم ما حرص عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حمل الناس باللسان أو حتى بالسنان ولو مقيدين بالسلاسل إلي التوحيد وتحذيرهم من مخالفته, وكيف لا واللَّه تعالى لا يغفر الشرك الذي يناقض التوحيد حتى لو صدر من خيرة خلقه فقال للخلق كافة: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا"النساء (٤٨), وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو خير الخلق:"وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) وأمره بعبادته وحده فقال له: "بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ"(٦٦).

ولما زاد في هذا الزمان الانحراف عن التوحيد وانجراف الناس زرافات ووحدانا نحو الشرك والتنديد وفق اللَّه تعالى الحريصين من أهل التوحيد المخلصين ليكونوا طوق النجاة وحبل الخلاص يصيحوا في الناس مشفقين وينادوا عليهم صادحين: "هلموا إلينا؛ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم كلمة التوحيد, إيماناً بالقلب واللسان والجوارح, مع معرفة شروطها, وترك نواقضها, ونصرتها ونصرة أهلها, وقد قام أخانا المبارك بجمع هذه المادة العلمية التي تسير على منهج السلف في التأصيل والنقل والاستدلال, مع سهولة عبارة وإيجاز, يخرج القارئ منها بعقيدة سليمة, ليسير على طريقة مستقيمة, لا عوجٍ فيها ولا انحراف, ومع كامل سعادتي بهذا العمل, أتوجه إلى اللَّه تعالى أن يتقبله من أخي, ويجعله خالصاً لوجهه الكريم, وينفع به المسلمين, لأستحث كل مسلم أن يتمسك بما فيها فيعمل بها لينجو.

والحمد للَّه رب العالمين

وكتبه /
عَدْنَان بِن خَضْر مَيَّط

مَعنَى كَلِمَةِ التَّوحِيدِ

معنى **لا إله إلا اللّه** أي لامعبود بحق إلا اللّه .
ومعنى **محمد رسول اللّه** الإقرار برسالة محمد
صلى اللّه عليه وسلم وطاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما
أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وألا يعبد اللّه إلا بما شرع .

شروط كلمة التوحيد

لكلمة التوحيد شروط لابد من تحققها وهذه الشروط تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شروط لعصمة الدم في الدنيا .

الشرط الأول : التلفظ والإقرار بـ (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) - لغير العاجز كالأبكم مثلاً .

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه) ١

قال ابن تيمية رحمه اللّه تعالى : (الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر بإتفاق المسلمين , وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها) ٢



الشرط الثاني : عدم اقتراف ناقض من نواقض التوحيد :

فمن جاء بكلمة التوحيد ثم عمل ناقضاً من نواقض الإيمان فقد حبط عمله وخرج من الإيمان وهو في الأخرة من الخاسرين.

قال تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)) (سورة النحل)

القسم الثاني : شروط لنجاة العبد يوم القيامة من الخلود في النار.

الشرط الأول : العلم بمعنى لا إله إلا اللّه – قال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (سورة محمد : ١٩)

الشرط الثاني : اليقين أن يكون قائلهما مستيقناً بما تدل عليه , فإن كان شاكاً مرتاباً بما تدل عليه لم تنفعه .

قال اللّه تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) (سورة الحجرات : ١٥)

الشرط الثالث : القبول لما دلت عليه هذه الكلمة من عبادة اللّه وحده وترك عبادة ما سواه .

فمن قالها ولم يقبل عبادة اللّه وحده كان من الذين قال اللّه فيهم : (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ. وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (سورة الصافات ٣٥ – ٣٦)

الشرط الرابع : الإنقياد لما دلت عليه كلمة التوحيد .

قال تعالى : (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (سورة لقمان : ٢٢)

والفرق بين القبول والإنقياد أن القبول عمل القلب والإنقياد عمل الجوارح .

الشرط الخامس : الصدق قال ﷺ (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمد عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه اللّه على النار) ٣

الشرط السادس : الإخلاص بأن لا يقصد بقولها طمع من مطامع الدنيا قال تعالى : (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(سورة غافر: ١٤)

قال ﷺ : (فإن اللّه قد حرم على النار من قال لا إله إلا اللّه يبتغي بذلك وجه اللّه) ٤

الشرط السابع : المحبة – لهذه الكلمة , ولما تدل عليه , ولأهلها العاملين بها .

قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (سورة البقرة : ١٦٥)



أركان كلمة التوحيد

أركان كلمة التوحيد اثنان / الركن الأول : الكفر بالطاغوت . الركن الثاني : الإيمان بالله .

قال تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

الركن الأول : الكفر بالطاغوت .

تعريف الطاغوت : قال ابن القيم رحمه الله : (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعوه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت ، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته) ٥

أصناف الطواغيت : / أصناف الطواغيت كثيرة نذكر منها أربعة :

١- الشيطان طاغوت :

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١))
(سورة يس)



٢- الهوى طاغوت :

قال تعالى : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان : ٤٣)

٣- الحاكم المبدل لشرع اللّه طاغوت :

قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّه فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة : ٤٤)

٤- المجالس النيابية (مجلس النواب) طاغوت :

وذلك لأن مجلس النواب مجلس تشريعي تناط به مهمة سن القوانين والتشريع مع اللّه تعالى.

قال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّه وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى : ٢١)

كيفية الكفر بالطاغوت :

الكفر بالطاغوت يكون بالقلب واللسان والجوارح

١- الكفر بالطاغوت بالقلب : وذلك بإعتقاد بطلان عبادته والعداوة والبغضاء له .

٢- الكفر بالطاغوت بالقول : وتمام ذالك بإظهار كفره وتكفيره باللسان وإظهار البراءة منه ومن دينه وأتباعه وبيان ما هم عليه من كفر .

قال تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّه كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّه وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (الممتحنة : ٤)

٣- الكفر بالطاغوت بالجوارح : وذلك باعتزاله واجتنابه وجهاد أتباعه وجنوده .

قال تعالى : (الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ) (الزمر : ١٧)

قال تعالى : (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونْ) (التوبة : ١٢)

الطاغوت قد يكون بَشَرَاً كفرعون كان يعبد من دون اللّه .

الطاغوت قد يكون حَجَرَاً كالأصنام يعبدونها الناس .

الطاغوت قد يكون نِظاماً كالنظام العلماني والنظام الديمقراطي يتحاكم إليه الناس من دون اللّه ورسوله .

وعلى هذا فالكفر بطواغيت اليوم من حكام ودساتير و أنظمة يكون باعتقاد بطلانها و بغضها و إعلان العداوة لها و مجاهدتها بالنفس والمال بحسب القدرة .

الركن الثاني : الإيمان بالـلّه .

أركان الإيمان بالـلّه :

أولاً : توحيد الربوبية : هو الإعتقاد بأن اللّه سبحانه هو الخالق لهذا الكون المالك له وهو الرازق والمحيي والمميت وهو المدبر ولا مدبر سواه.

فتوحيد الربوبية هو : إفراد اللّه تعالى بما هو له من الخلق والملك والتدبير أي بمعنى إفراد اللّه بأفعاله.

قال تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)) (آل عمران)
قال تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الزمر: ٦٢)

ثانياً : توحيد الألوهية : هو إفراد اللّه تعالى بأفعال العباد فلا تصرف العبادة إلا للّه تعالى.
والعبادة هي : طاعة اللّه بامتثال ما أمر اللّه به على ألسنة رسله.

قال ابن تيمية رحمه اللّه في تعريف العبادة : (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) ٦

وتوحيد الألوهية يقال له : توحيد العبادة لأن المألوه معناه : المعبود .
وتوحيد الألوهية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب هو متضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له.
فحقيقة هذا التوحيد : أن يعبد اللّه وحده ولا يشرك بعبادته أحد من خلقه،سواء في الأفعال أو الأقوال.

قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّه وَلا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً و بِالوَالِدَيْنِ إِحْساناً) (النساء : ٣٦)

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات : وهو الإيمان بأسماء اللَّه تعالى وصفاته من دون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل .

قال تعالى : (وَلِلَّه الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (طه : ٨)

قال ابن تيمية رحمه اللَّه :

(ومن الإيمان باللَّه الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى اللَّه عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بأن اللَّه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء اللَّه وآياته ، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سميّ له، ولا كُفُوَ له، ولا نِدَّ له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه.

ثم رسله صادقون مصدوقون، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال: {سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للَّه رب العالمين} فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمىً به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون. فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ٧

بعض القواعد في باب الأسماء والصفات :

١- أسماء اللَّه وصفاته غير محصورة بعدد .

٢- الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)

٣- صفات اللَّه كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه .

٤- باب الصفات أوسع من باب الأسماء .

٥- أسماء اللَّه وصفاته توقيفيه لامجال للعقل فيها .

نواقض كلمة التوحيد

نواقض كلمة التوحيد كثيرة ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

نواقض كلمة التوحيد القلبية | نواقض كلمة التوحيد القولية | نواقض كلمة التوحيد العملية

أولاً : نواقض كلمة التوحيد القلبية:

لكلمة التوحيد نواقض قلبية محضة من دون تعلق للقول أو العمل بها من ذلك ما يلي :

١- الجحود والتكذيب

قال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل :١٤)

قال تعالى : (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)(الأنعام :٣٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه الآية: (فنفى عنهم التكذيب وأثبت الجحود ومعلوم أن التكذيب باللسان لم يكن منتفيا عنهم،فعلم أنه نفى عنهم تكذيب القلب) ٨

٢- استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة

قال الإمام الشوكاني رحمه اللَّه تعالى:(وقد تقرر في القواعد الإسلامية أن منكر القطعي أو جاحده،والعامل على خلافه تمرداً وعناداً أو استحلالاً أو استخفافاً كافر باللَّه وبالشريعة المطهرة التي اختارها اللَّه تعالى لعباده) ٩

٣-الشرك في الربوبية.

وهو أن يعتقد أن المتصرف في الكون غير اللَّه ؛ كما يعتقد جهال الصوفيةٍ في الأولياء أن بيدهم تصريف الأمور وتفريج الكروب ، وكما يعتقد الإمامية والإسماعيلية والفرق الباطنية أن للأئمة تصرفاً غيبيا في الكون .

قال تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس : ١٠٧)

قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (سبأ : ٢٢)

٤-الإعراض عن دين اللَّه لا يتعلمه ولا يعمل به.

قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ) (الأحقاف : ٣)

قال ابن القيم رحمه اللَّه : (وأما كفر الإعراض : فإن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول (صلى اللَّه عليه وسلم) ، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة) ١٠

قال أيضاً رحمه اللَّه : (أن العذاب يستحق بسببين ، أحدهما : الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها ، والثاني : العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها ، فالأول كفر إعراض ، والثاني كفر عناد ، وإما كفر بموجبها ، والثاني : العناد لها بعد قيامها وترك إرادة بموجبها ، فالأول كفر إعراض ، والثاني كفر عناد ، وإما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى اللَّه التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل) ١١

قال تعالى : (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ [٤٧] وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ [٤٨] وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ [٤٩] أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٥٠]) (سورة النور)

قال ابن تيمية رحمه اللَّه في تعليقه على هذه الآيات: (فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن، وإن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا،فإذا كان النفاق يثبت ويزول النفاق بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض،وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص والسب ونحوه) ١٢

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) (النساء : ٦١)

وقد ورد للإمام الشوكاني سؤال نصه ما يلي : ما حكم الأعراب سكان البادية الذين لا يفعلون شيئاً من الشرعيات إلا بمجرد التكلم بالشهادة ، هل هم كفار أم لا ؟ وهل يجب على المسلمين غزوهم أم لا ؟

فكان من إجابته التالي : (وأقول من كان تاركاً لأركان الإسلام ، وجميع فرائضه ورافضاً لما يجب عليه من ذلك من الأقوال والأفعال ولم يكن لديه إلا مجرد التكلم بالشهادتين، فلا شك، ولا ريب أن هذا كافر شديد الكفر حلال الدم والمال) ١٣

٥- بغض أو كراهية بعض ما جاء به النبي صلى اللَّه عليه وسلم.

قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ)

ويذكر ابن تيمية رحمه اللَّه السبب في أن كراهية ما جاء به النبي صلى اللَّه عليه وسلم من نواقض التوحيد فقال :

(لأنه يعترف للَّه ولرسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر منه، وتكفير هذا معلوم بالإضطرار من دين الإسلام) ١٤

ثانياً : نواقض الإيمان القولية :

لكلمة التوحيد نواقض قولية باللسان من دون تعلق القلب أو الجوارح من ذلك ما يلي:

١-سب اللَّه عز وجل أو رسوله أودينه.

قال تعالى : (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (٦٦))

قال ابن تيمية رحمه اللَّه : (إن سب اللَّه أو سب رسوله كفر ظاهراً و باطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم ، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً على اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول و عمل . وقد قال ابن راهوية : قد أجمع المسلمون أن من سب اللَّه أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام أنه كافر بذلك ، وإن كان مقراً بما أنزل اللَّه . وقال القاضي أبو يعلى في " المعتمد " من سب اللَّه أو سب رسوله فإنه يكفر ، سواء استحل سبه أو لم يستحله) ١٥



٢-الدعاء والاستغاثة بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه.

قال تعالى: (وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ*وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ) (يونس : ١٠٦-١٠٧)

٣-إدعاء النبوة .

قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (الأنعام : ٩٣)

قال ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى : (ومن ادعى النبوة وهو كاذب،فهو من أكفر الكفار،ومن أظلم الظالمين،وشر خلق اللَّه تعالى وقال تعالى : فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ١٦

٤-إنكار معلوم من الدين بالضرورة .

قال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الأنعام : ٢١)

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه اللَّه تعالى : (فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك ، فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل كافراً مرتدا) ١٧

قال ابن تيمية رحمه اللَّه : (إن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة ، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من أعظم أصول الإيمان ، وقواعد الدين ، والجاحد لها كافر بالاتفاق) ١٨

ثالثاً : نواقض الإيمان العملية :

لكلمة التوحيد نواقض عملية من دون تعلق للقلب أو اللسان من ذلك ما يلي :

١-صرف شيء من العبادات لغير اللَّه .

وهذا هو الشرك في الألوهية؛ قال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام : ١٦٢-١٦٣)



قال الشيخ سليمان بن عبد اللّه رحمه اللّه تعالى : (قد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك باللّه فهو كافر أي عبد مع اللّه غيره بنوع من أنواع العبادات) ١٩

٢- التشريع مع اللّه.

قال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ...) (الشورى : ٢١)

قال ابن تيمية رحمه اللّه : (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً بالاتفاق) ٢٠

٣-التحاكم إلى الطاغوت.

قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) (النساء: ٦٠)

٤-مظاهرة الكفار ضد المسلمين.

أي مناصرة الكفار، أو التعاون معهم على المسلمين، أو التجسس للكفار، كل هذا مِن اتخاذ الكفار أولياء قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة : ٥١)

قال الشيخ ابن القيم رحمه اللّه تعالى : (إنه سبحانه قد حكم، ولا أحسن مَن حكمه أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم) ٢١

قال ابن تيمية رحمه اللّه في حكم من انضم مع التتار ضد المسلمين : (فمن قفز منهم إلى التتار كان أحق بالقتال من كثير من التتار، فإن التتار فيهم المكره وغير المكره، وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة) ٢٢

وأسأل اللّه عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

والحمد للّه رب العالمين



المراجع

١ـ أخرجه مسلم ١ / ٤٠

٢ـ مجموع الفتاوي ٦٠٩/ ٧

٣ـ أخرجه البخاري ١/ ٥٩ الحديث ١٢٨

٤ـ أخرجه البخاري ١/ ١٦٤ الحديث ٤١٥ ، ومسلم ١/ ٤٥٥ الحديث ٣٣

٥ـ إعلام الموقعين ١/ ٥٠

٦ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٤٩)

٧ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٢٩ـ ١٣٠)

٨ـ الفتاوى الكبرى ٥/ ١٦٤

٩ـ الدواء العاجل في دفع العدو الصائل صـ ٣٤ (ضمن مجموعة الرسائل السلفية)

١٠ـ مدارج السالكين ١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧

١١ـ طريق الهجرتين صـ ٣٨٤

١٢ـ الصارم المسلول صـ ٣٩

١٣ـ إرشاد السائل صـ ٣٣

١٤ـ الصارم المسلول ٥٢٤

١٥ـ الصارم المسلول صـ ٥١٢ ، ٥١٣ باختصار.

١٦ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣٠

١٧ـ شرح العقيدة الطحاوية صـ ٣٥٥

١٨ـ مجموع الفتاوى١٢/ ٤٩٧

١٩ـ تيسير العزيز الحميدصـ١٩٤

٢٠ـ مجموع الفتاوى ٣/ ٢٦٧

٢١ـ أحكام أهل الذمة ١/ ٦٧

٢٢ـ مجموع الفتاوي ٢٨/ ٥٣٤

هِىَ يَـا أُخَيَّ عَقِيـدَةُ التَّوحِـيد قَدْ … شغفَ الفؤَادُ بهَـا رِضىً ومُثُـولا

هَـذِي العَقِيدَةُ مَنْ حَوَاهَا صَـادِقاً … ذَاقَ السَّعَـادَةَ بُكْـرَةً وأَصِيـلا

هَذِي العَقِيدَةُ يـا أَخِي كَمْ عَـالَجَتْ … قَلْباً سَقيمـاً بِالْهَـوَى مَعْلُـولا

وبِهَـا تَفَرَّجَ ضِيقُ صَـدْرِ مُخَـالِفٍ … لِلْحَقِّ لَمَّـا فَـارَقَ التَّضْلِيـلا

طَوبى لمن حفِظ العَقِيْدةَ فِي الحَشَى … لَمـا أطَـاعَ الوَحْيَ والتَّنْزِيْـلا

سَيعِيش فِي الدُنـيا كَريما ماجِـدا … وَيَنـال فِي الأُخْرى رِضـاً وقَبُـوْلا